

مع الكتاب

البصيرة تشحذ الهممة لنصرة دين الله

قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاكِينِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾.

ما معنى قوله سبحانه: مستبصرين؟ مستبصرون: عقلاء ذوو بصيرة، يستطيعون بها تمييز الحق من الباطل.

جاء في تفسير الطبري: (قوله تعالى: وعادا وثمود قال الكسائي: قال بعضهم هو راجع إلى أول السورة أي ولقد فتنا الذين من قبلهم وفتنا عادا وثمود. قال: وأحب إلي أن يكون معطوفا على فأخذتهم الرجفة وأخذت عادا وثمود وزعم الزجاج: أن التقدير: وأهلكنا عادا وثمود. وقيل: المعنى: واذكر عادا إذ أرسلنا إليهم هودا فكذبوه فأهلكناهم وثمود أيضا أرسلنا إليهم صالحا فكذبوه فأهلكناهم بالصيحة كما أهلكنا عادا بالريح العقيم.

وقد تبين لكم يا معشر الكفار من مساكنهم بالحجر والأحقاف آيات في إهلاكهم، فحذف فاعل التبيين، وزين لهم الشيطان أعمالهم أي أعمالهم الخسيسة فحسبوها ربيعة. فصددهم عن السبيل أي عن طريق الحق، وكانوا مستبصرين فيه قولان: أحدهما: وكانوا مستبصرين في الضلالة قاله مجاهد. والثاني: كانوا مستبصرين قد عرفوا الحق من الباطل بظهور البراهين. وهذا القول أشبه؛ لأنه إنما يقال: فلان مستبصر: إذا عرف الشيء على الحقيقة. قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم تنفعهم بصائرهم. وقيل: أتوا ما أتوا وقد تبين لهم أن عقابتهم العذاب انتهى

ما بالنا نحن المسلمين اليوم، وقد اكتمل الدين وتمت النعمة علينا، لم نحكم شرع الله فينا؟! لم يحكمه الملوك والرؤساء، لأنهم خانوا الله ورسوله ولجأوا لأمريكا وبريطانيا وفرنسا. ولم نحكمه نحن بسكوتنا عليهم رغم أن الله سبحانه أكمل لنا دينه وأتم علينا نعمته ورضي لنا الإسلام ديننا، وتركنا رسوله ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فبدل أن نشغل بتحكيم شرع الله في الأرض والتغيير على الحكام، التفتنا لدينانا عن ديننا، وانشغلنا بالدنيا وحرثها وخفنا على أرزاقنا وبتنا نطن أننا نحن الرازقون! وعملنا ليل نهار من أجل تحصيل أكبر قدر من متاع الدنيا الزائل بحجج متعددة، فخنا الأمانة وبعنا الدنيا بالدين، وقعدنا عن نصره دين الله وشرعه، وسكتنا عن ظلم الحكام وجورهم وتحكيمهم للكفر وتطبيقه علينا عقودا من الزمان.

ألسنا مستبصرين وواعين لما يجب فعله؟ هل تركنا الله والعباد بالله دون بصيرة ودون سبيل قويم وطريق مستقيم؟! هل سألنا أنفسنا أين الخلافة التي كانت تحكمنا؟! كيف هدمت عام ١٩٢٤م وعلى يد من؟ وماذا حل بنا بعد هدمها؟ وكيف ستعود من جديد؟ أم أن الخلافة ستعود بلا جهود وبلا مشقة وبلا أخذ بالأسباب؟!

اللهم اجعلنا من المؤمنين العاملين الساعين لنصرة دينك وإعادة تحكيمه في الأرض ولا تجعلنا من المستبصرين الغافلين.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

د. فرج ممدوح